كفاءة هندسة القرآن الكريم في إدارة الكوارث / ٢

إدارة أزمة الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم

د. حازم الوادي

قسم اقتصاد - كلية الأعمال- جامعة الطفيلة التقنية

الحلقة (٢)

عانت البشرية من بدايتها من أزمات طبيعية وبشرية عديدة وسيبقى العناء موجودا إلى قيام الساعة، وما زال العلم الوضعي بتقدمه وتطوره عاجزا عن إيجاد الحلول الجذرية والمناسبة لتلك الأزمات.

الأزمة في القرآن الكريم

لم ترد لفظة الأزمة في القرآن الكريم مباشرة، وإنما ورد بعض مشتقاتها، ومنها: المصيبة، والفتنة، والإبتلاء، والتمحيص، والمحنة، والكرب، والشدة، والعسر، والضر، والسوء، والزلزال، والسنين، والظمأ، والنصب، والمخمصة.

أسباب الأزمة في القرآن الكريم

١. عدم الإيمان والعلم: وهذا ينتج عن سوء الفهم الناتج عن الخطأ في استقبال المعلومات، قال تعالى: **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** (يوسف: ٣٩) يقول القرطبي: " أي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيرة، وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال فهذا يدّل على أنه يجب أن يُنظر في التأويل، وقوله: **وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** أي ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم، وقوله: **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**؛ أي أخذهم بالعذاب والهلاك. وبذلك فالمعلومة الصحيحة وتوفرها والعمل بها أساس نجاح الإداري في اتخاذ القرارات الصائبة لإدارة الأزمة والوقاية منها، ونقصها أو عدم فهمها والعمل بها من مسببات الأزمات.

٢ . انتشار الظلم والفساد: قال سبحانه وتعالى: **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** (الشورى: ٣٠)، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأنّ ما يعفوا الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد ولكن أنفسهم يظلمون (السعدي).

أنواع الكوارث الطبيعية التي وردت بالقرآن الكريم

الغرق، وسَفَه التفكير والتصرف والتعلم، والرجز أي العذاب أو الطاعون أو الأمراض الأخرى، والرمي بالحجارة أو إحراقهم بنار من السماء، والخزي، والذل، والهوان، والحقارة، والمسكنة، والخوف، والفضيحة بالمسخ والخسف والقتل والأسر، وجعلهم مختلفي الأهواء مختلفي النحل متفرقي الآراء فرقا تقاتل بعضهم بعضا، ويأسر بعضهم بعضا، وينهب ويسلب بعضهم بعضا، وذهاب القوة والنصر أي ذهاب الدولة، ومحق المال بذهاب بركته في الدنيا، وحرب الله عز وجل، والاستدراج بفتح كل أبواب الخير عليهم، والعذاب من الفوق كالبرد والصواعق والقوارع والشهب والمطر الشديد والريح الشديدة، أو من تحت الأرجل كالخسف والزلازل والبراكين، والأخذ فجأة، وجعل عاليها سافلها، وإسقاط عليهم بنيانهم، وبعث عليهم العذاب من جهة لا يحتسبون الإتيان منها عند الأمن والغفلة، وبعث عليهم عذابا لا ينفك عنهم ولا يفارقهم، والهلاك والتدمير بياتا أو قيلولة، وسلب أوطانهم وتوريثها للآخرين، وهدم عليهم ديارهم، وتخريب البيوت وخلوها من المساكن، والمطر الذي لا خير فيه سواء بالكثرة أو بالقلة فيخرج نباته نكدا فيسبب القحط والجدب والجوائح المتتالية، والجوع والخوف فيظهر عليهم الهزل والشحوب وسوء الحال والفقر، وأمراض الدنيا ومصائبها وأوجاعها وأسقامها وبلاياها وذهاب الأموال والأولاد، وفساد الأعمال وبطلانها، وبعث عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وغير ذلك مما يفسد نعيم الحياة الدنيا، ومسخهم قردة وخنازير، وتشبيههم بالكلاب والأنعام لعدم إبصارهم للحق، والحسرة والغلبة والانتحار والضيق، وإهلاك وإفناء الثمار، واستبدال الأشجار المثمرة بالأشجار غير المثمرة، وحرق زرعهم وثمارهم بالريح الباردة الشديدة التي لا مطر فيها ولا بركة، وإرسال مطر من النار، وجعلهم مثلا وعبرة للناس، وقساوة القلوب وأغطية تحول بين قلوبهم وبين وصول الفهم إليها، أو ثقلا في آذانهم يمنع الاستماع بها، أو يزين الله أعمالهم السيئة ليروها حسنة فينتج عن ذلك عدم التفكير، والتكبر عن آيات

وكلام الله عز وجل، والعيش الضنك والضيق، والطرد من بلادهم التي كانوا منعمين بها، أو تفريقهم وتمزيقهم بالحروب، وإرسال الطير السود أفواجا عليهم محملة بالحجارة ترميها عليهم لتهلك كل من أصابته، وإبطال المكائد التي نصبوها لإبطال وتدمير دين الله عز وجل، وإبطال نفقتهم لتدمير دين الله عز وجل وذهابها وعدم منفعتها، وقطيعة الأرحام، وتفريق الأزواج، والتأثير على القلوب بالسحر والحسد والشعوذة والعين وتقتيل الأولاد، وحب الدنيا والحرص عليها، واللهو فيها، والتيه، وتحريم الطيبات عليهم، وبراءة الله عز وجل ورسوله منهم، وحبسهم الله عز وجل عن عمل الطاعات، واللعنة في الدنيا، ويشاركهم الشيطان بالمال والولد ويزين لهم خطاياهم ويعطيهم الأمل ويلازمهم ويمسهم ويتولاهم، والنفي وعدم اللمس، والبلاء بسبب المعاصي، ويصبحوا عند الله عز وجل كذابين.

كفاءة إدارة يوسف عليه السلام لأزمة الجفاف

قال سبحانه وتعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

أرى الله سبحانه وتعالى ملك مصر رؤيا تحمل في طياتها إشارات أزمة تحل بمصر والدول المجاورة بها مدة سبع سنوات خيرات ثم يتبعها سبع سنوات جفاف، ثم يأتي عام يغاث فيه الناس، ويعود الخير، وبذلك فمدة الأزمة خمس عشرة سنة.

تعامل الملك برؤياه مع حاشيته، حيث رأوا عدم تفسيرها وأنها من الأوهام والأحلام العابرة، ولا شأن لها بالواقع العملي، لكن ساعي الملك الذي مكث مع يوسف عليه السلام مدة من الزمن في السجن وسمع

تأوليه لبعض الرؤى، اهتم بالأمر وذهب ناقلا رؤيا الملك بصدق وأمانة وموضوعية أي بحروفها وترتيبها ليوسف عليه السلام.

يقول سيد قطب في ذلك: "ونقل ألفاظ الملك التي قالها كاملة؛ لأنه يطلب تأولها، فكان دقيقا في نقلها، وأثبتها السياق مرة أخرى ليبين هذه الدقة أولا، وليجيء تأويلها ملاصقا في السياق لذكرها" (سيد قطب، ١٩٩٣).

وعبّر يوسف الرؤيا بقوله: "عبّر الرّؤيا بجميع ما دلت عليه، فالبقرات لسنين الزراعة، لأن البقر تتخذ للإثمار، والسمن رمز الخصب، والعجف رمز للقحط، والسنبلات رمز للأقوات، فالسنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعا رمزا للانتفاع به في السبع السنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فلذلك يقتانونه في تلك السنين جديدا، والسنبلات اليابسات رمز لما يدخر، وكونها سبعا رمز لادخارها في سبع سنين لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، وتأويل ذلك: أن سني الجدب أتت على ما أثمرته سنو الخصب" (ابن عاشور، ١٩٨٤).

كفاءة تخطيط الأزمة:

التخطيط الاقتصادي هو: "تعبئة، وتنسيق، وتوجيه، ومتابعة الموارد الاقتصادية: البشرية، والمالية، والطبيعية لاقتصاد ما لتحقيق أهداف محددة خلال فترة زمنية محددة" (معروف، ٢٠٠٩).

أما كفاءة التخطيط الاقتصادي فتعني: القدرة على تعبئة وتنسيق وتوجيه كافة الموارد الاقتصادية المتاحة، لتحقيق أكبر إنتاج ممكن، وبأقل تكلفة ممكنة، وفق المدة الزمنية المحددة والتي قدرت بخمسة عشرة سنة أي خطة طويلة الأجل.

وبذلك ظهرت كفاءة يوسف عليه السلام التخطيطية كما يلي:

١. الاستغلال الأمثل للموارد البشرية: وتمثل ذلك بقوله: **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** أي إلزام كل من يقدر على العمل بالعمل وهو الزراعة، وذلك بنشر خطر الأزمة القادمة، ومدى حاجتهم إلى استغلال الوقت بعمل أطول ساعات عمل وبذلك أوجد قانون العمل الإضافي، وحارب كل أنواع وأشكال البطالة، وأوجد العمل المتواصل، والاستفادة من خبرات العمالة المدربة والماهرة.

٢. الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية: وتمثل ذلك بقوله: **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** أي استغلال كل أرض صالحة للزراعة سواء كانت تزرع أو لا تزرع فيجب زراعتها والاستفادة من كامل خيراتها أي التوسع الأفقي في استغلال الارض، وفيه إشارة إلى التوسع الرأسي وهو زراعة الأرض لأكثر من مرة في الحول الواحد إذا أمكن ذلك، وتوصيل المياه إلى الأراضي التي تحتاج إلى ذلك لإنتاج أكبر كمية إنتاج ممكنة.

٣. الاستغلال الأمثل للموارد الرأسمالية: وذلك بتوفير الثروة الحيوانية التي يستفاد منها في المجال الزراعي سواء كان للحرث أو جمع المحصول أو نقل الغلات، وغير ذلك من الأدوات الرأسمالية التي تساعد على زيادة عمليات الحرث والحصاد وجمع المحاصيل.

٤. الاستغلال الأمثل للوسائل العلمية والتعليمية: وذلك بتحسين نوعية الحبوب المستخدمة والمنتجة لأكبر كمية إنتاج، واستخدام أفضل وسائل الحراثة التي تعمل أكبر كمية حرث، واستخدام أفضل وسائل الحصاد لجمع أكبر كمية إنتاج، واستخدام الأسمدة التي تعظم كمية الإنتاج، واستخدام المبيدات الحشرية التي تزيد الإنتاج، وغير ذلك من الوسائل العلمية التي تعظم الإنتاج وتقلل الفاقد إلى أقل مستوى ممكن.

وفي ذلك يقول أحمد نوفل: " أن الخطة اليوسفية في الديار المصرية قد راعت هذا كله، فزادت الإنتاجية إلى ما نستطيع تقديره ٤٠٠٪، وأولت اهتماما ولا شك كبيرا للعوامل البشرية، وزادت الفعالية وقت الدافعية، وإلا كيف استطاعت أن تنجز كل هذه المنجزات العظيمة والرائعة في هذه المدة القياسية، والخطة الخمس عشرية" (نوفل، ١٩٨٩).

٥. الاستغلال الأمثل للوقت: فقال يوسف عليه السلام: **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** والدأب يعني: الدوام على الشيء بالجد والاجتهاد دون انقطاع، وقيل في ذلك: "تزرعون بشكل مستمر لتكون أعوام الخصب أعوام زرع مركزة يستفاد منها بكل ساعة من ساعاتها، ومن كل شهر صالح للزراعة من الأراضي" (الزين، ٢٠٠١)، وبذلك أمر يوسف عليه السلام جميع الفئات العامة والخاصة بالعمل المستمر لتحقيق أكبر إنتاج ممكن، وهذا ما يحتاجه وقت الأزمات من العمل الجاد والمستمر لتحقيق الهدف المخطط له.

الكفاءة التخزينية:

الكفاءة التخزينية تعني تقليل الفاقد والتالف لأقل كمية ممكنة، وبالفترة الزمنية المطلوبة، وهذا ما تبين من خلال قوله سبحانه وتعالى: **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ**، ويقول ابن عاشور في ذلك: " كان ما أشار به يوسف عليه السلام على الملك من الادخار تمهيدا لشرع ادخار الأقوات للتموين، كما كان الوفاء في الكيل والميزان ابتداء من دعوة شعيب عليه السلام، وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السوس، وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة" (ابن عاشور، ١٩٨٤).

وعمليات التخزين تحتاج إلى أماكن ملائمة للتخزين، وهذا يتطلب بناء مخازن لحفظ الغلات، وأن يتم بناؤها بطرق هندسية مدروسة لمنع الحب من التعفن والتلف لطول فترة التخزين المطلوبة، ويؤكد ذلك: "ومن الجدير بالذكر أن عملية التخزين، وعمل الموازنة بين الإنتاج والاستهلاك والتخزين تتطلب أن تكون فيه الدقة والمتابعة السليمة، ونكون ملزمين بقاعدة: " الذي يتم إنتاجه أولا يستهلك أولا حسب الكميات المطلوبة" (قرموط، ٢٠٠٩).

وبذلك طبق يوسف عليه السلام كل مستلزمات وأنواع وعلوم وحاجات التخزين، ففي سنين الخصوبة تنتشر التقلبات المناخية من: رطوبة وعفن وأمطار وأشعة الشمس صيفا، وفي سنين العجاف يكثر فيها الجفاف وقلة الرطوبة وارتفاع درجات الحرارة وانتشار الحشرات والهوام... وغير ذلك.

كفاءة استهلاكية:

الكفاءة الاستهلاكية تعني: أن يكون الاستهلاك بقدر الحاجة فلا إسراف ولا تقتير ولا إتلاف وتعد على حقوق الآخرين، وهذا ما أكده يوسف عليه السلام في سنين الخصوبة والعجاف، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف علية السلام: **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ** "قليلا مما تأكلون" أي: " تدرسون قليلا للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر، والأكل بقدر الحاجة" (البغوي، ١٩٩٥)، وبذلك ألزمهم "بالاقتصاد والتوفير، والأكل دون إسراف ليبقى لهم وفر كافي لسني الجدب التالية" (أبو بكر الجزائري، ٢٠٠٣).

وقد ثبت نجاح يوسف عليه السلام في ترشيد الاستهلاك لأعلى الدرجات، وذلك بإبقاء الحصاد في سنبله إلا القليل للاستهلاك، والواضح من الآية ادخار الكثير في سنبله، وبالتقدير يكون الثلث للاستهلاك، والثلثان للتخزين، وهذا لا يرتبط بكميات محددة، لتغير الإنتاج والاستهلاك، وارتباطهما بعدد السكان وزيادته (اليازجي، ٢٠١١).

وبذلك استطاع يوسف عليه السلام من المحافظة على الجنس البشري، ولم يقتصر على ذلك بل تعداه إلى الجنس الحيواني، فحينما أمر بتخزين الحبوب بسنابله فيه إشارة إلى إبقاء طعام الثروة الحيوانية خشية هلاكها، فيقول الشعراوي في ذلك: " إن المقصود هو ترك القمح في سنابله فقط، لأن العيدان هي طعام الحيوانات.

ونحن نعلم أن حبة القمح لها وعاءان، وعاء يحميها، وهو ينفصل عن القمحة أثناء عملية "الدرس" ثم يطير أثناء عملية "التذرية" منفصلا عن حبوب القمح.

ولحبة القمح وعاء ملازم لها، وهو القشرة التي تنفصل عن الحبة حين نطحن القمح، ونسميها "الردة" وهي نوعان "ردة خشنة" و"ردة ناعمة"، فهذه القشرة الملازمة لحبة القمح ليست لحماية الحبة فقط، بل تحتوي على قيمة غذائية كبيرة (الشعراوي، ١٩٩٧).

كفاءة توزيعية:

الكفاءة التوزيعية تعني حصول كل فرد من أفراد المجتمع على نصيب من الدخل او الثروة على حسب قدراته وممتلكاته في العمل والإبداع والابتكار والحاجة، وبذلك لا يستثنى أي فرد، والنصيب يكون بالتساوي النسبي وليس المطلق، وبوقت متناسب.

وقد طبق يوسف عليه السلام الكفاءة التوزيعية وذلك من خلال قوله سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: **وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**، فقيل في تفسير هذه الآية: " ألا ترون أني أعطي كل ذي حق حقه، ولا أبخس الناس أشياءهم، وأني أنزلهم منازلهم، وأوفر لهم أسباب الأمن والراحة" (الخطيب)، ويستطع المحتاج من الحصول على حاجته بالعدل وبسرعة دون الحاجة للوقوف لساعات طويلة على أبواب مراكز التوزيع (التميمي).

ووضع القوانين لضمان الاحتياطات الأمنية، والتي تمثلت بفرض تعزيزات أمنية مشددة على الحدود، ومراقبة دائمة على المخازن والمستودعات لصد السارقين، ومنع السوق السوداء، والغش، والاحتكار، والجشع، والغبن، بل وزع السلع الأساسية الضرورية بالعدل والتساوي على كل أسرة ومراعيا أيضا الشعوب المجاورة، فلم يكن ليبيع أكثر من حمل بعير للنفر الواحد(الحليسي، ١٩٩٤) الذي يكفي مؤونته سنة كاملة.

المبحث الثالث : إدارة الأزمة في عصر الخلفاء الراشدين

يقول الطبري:" قال أبو جعفر: وفي هذه السنة – أي سنة ثمان عشرة – أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبه، وجدوب وقحوط، وذلك هو العام الذي سمي عام الرمادة، وقد كانت في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة، وكانت الرمادة جوعا أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكتهم حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وإنه لمقفر" .

ويقول ابن كثير:" كان في هذه السنة – ثماني عشرة – طاعون عمواس وعام الرمادة، فتفانى فيهما الناس. قلت: كان في عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز، وجاع الناس جوعا شديدا... وسمي عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيها بالرماد. وقيل لأنها تسفي الريح ترابا كالرماد. ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم. وقد أجدب الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفذه... كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثمان عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس" .

سبب الأزمة: كتب أبو عبيدة إلى عمر: أن نفرا من المسلمين أصابوا شرابا، منهم ضرار، وأبوا جندل، فسألناهم فتأولوا، وقالوا خيرنا فاخترنا، قال: "فهل أنتم منتهون"! ولم يعزم علينا. فكتب إليه عمر: فذلك بيننا وبينهم، "فهل أنتم منتهون"، يعني (فانتهوا). وجمع الناس، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة، ويضمنوا الفسق على من تأول عليها بمثل هذا، فإن أبى قتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن أدعهم، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين، فبعث إليهم فسألهم

على رؤوس الناس، فقالوا: حرام، فجلدهم ثمانين ثمانين، وحدّ القوم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث، فحدثت الرمادة.

إجراءات عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة:

اتخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإجراءات التالية في عام الرمادة:

أولا: إنفاق كل ما في بيت المال: قيل في ذلك: " وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحدهم منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفذه" (ابن كثير).

ثانيا: عاش عمر بن الخطاب حياة الناس: فقيل في ذلك: " وألزم نفسه أن لا يأكل سمنا ولا سمينا حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل، وكان لا يستمرئ بالزيت. وكان لا يشبع مع ذلك، فأسود لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف" (ابن كثير).

ثالثا: الاستغاثه بولاة المسلمين: فقيل في ذلك: " فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد. فبعث كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة. وهذا الأثر جيد الإسناد، لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة مشكل، فإن مصر لم تكن فتحت في سنة ثماني عشرة، فإما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثماني عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم والله أعلم" (ابن كثير).

وذكر أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاما، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فلح عليه عمر حتى قبلها (ابن كثير).

رابعا: الدعاء وصلاة الاستخارة: أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عهدتك كيّسا، وما زلت على ذلك، فما شأنك" قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة، وأخرج الناس إلى صلاة الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد

المطلب ماشيا، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم إغفر لنا وارحمنا وأرض عنا. ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران (ابن كثير).

خامسا: إيقاف حد السرقة: "قال أحمد: لا قطع في المجاعة. يعني أن المحتاج إذا سرق ما يأكله، فلا قطع عليه؛ لأنه كالمضطر، وروى الجوزجاني، عن عمر، أنه قال: لا قطع في عام سنة. وقال: سألت أحمد عنه، فقلت: نقول به؟ قال لعمري، لا أقطعه إذا حملته الحاجة، والناس في شدة ومجاعة، وعن الأوزاعي مثل ذلك. وهذا محمول على من لا يجد ما يشتري به، أو لا يجد ما يشتري به، فإن له شبهه في أخذ ما يأكله، أو ما يشتري به ما يأكله" (ابن قدامة، ١٩٩٧).

سادسا: تأخير جمع الزكاة عام الرمادة: قال ابن سعد: أن عمر أخر الصدقة عام الرمادة فلم يبعث السعاة فيما كان قابل رفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا فأخذوا عقلين فأمرهم أن يقسموا عقالا ويقدموا عليه بعقال (ابن سعد).

كفاءة هندسة القرآن في إدارة أزمة الجفاف

الجانب العقدي: تبين كفاءة هندسة القرآن في إدارة الأزمات وخاصة أزمة الجفاف من خلال البيان العقدي لها في النصوص القرآنية، وكذلك ما فعله يوسف عليه السلام، ونبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أولا: النصوص القرآنية: إن عدم الإيمان بالإسلام وعدم تطبيق شرع الله عز وجل يؤدي إلى عقوبات دنيوية عظيمة جدا كالجفاف مثلا وغيرها من العقوبات المدمرة التي استحقت الأمم السابقة بها، وما تزال تصيب الأمم الكافرة والمنحرفة عن منهج الله عز وجل إلى قيام الساعة، فبلغت نسبة الآيات القرآنية المبينة للعقوبات الدنيوية حالة عدم تطبيق شرع الله عز وجل ١٠٪ من مجمل عدد الآيات القرآنية (الوادي، ٢٠١٧).

ثانيا: أعمال يوسف عليه السلام: استمرارية الدعوة الإسلامية، يقول سيد قطب في ذلك: " وواضح أن يوسف عليه السلام عندما سيطر على مقاليد الأمور في مصر، استمر في دعوته للإسلام على هذا النحو الواضح الكامل الدقيق الشامل... ولا بد أن الإسلام انتشر في مصر على يديه – وهو يقبض على أقوات الناس وأزوادهم لا على مجرد مقاليد الحكم بينهم – وانتشر كذلك في البقاع المجاورة ممن كانت وفودها تجيء لتقتات مما تم ادخاره بحكمته وتدبيره – وقد رأينا إخوة يوسف يجيئون من أرض كنعان المجاورة في

الأردن ضمن غيرهم من القوافل ليمتاروا من مصر ويتزودوا، مما يصور حالة الجدب التي حلت بالمنطقة كلها في هذه الفترة" (سيد قطب) .

ثالثا : أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم : الاستسقاء بعدما أصاب المدينة المنورة وما حولها جفاف شديد، وهذا ما تبين من كلام الأعرابي، وبدأ نزول المطر بعد انتهاء الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاء الاستسقاء: عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : "**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا" قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال "اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر" قال : فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول قال ما أدري** (صحيح البخاري) .

رابعا : أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة : الاستسقاء وتقدم ذكره، واستمر في الأعمال العبودية كما أمر الله عز وجل، واستمر بالفتوحات الإسلامية، "قال الواقدي وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حول عمر المقام – وكان ملصقا بجدار الكعبة – فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين. قال : وفيها استقضى عمر شريحا على الكوفة، وكعب بن سور على البصرة. وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدي عياض بن غنم. قال وفتحت رأس عين الوردة على يدي عمر بن سعد بن أبي وقاص. وقال غيره خلاف ذلك. وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه – يعني هذه السنة – يعني هذه السنه افتتح أبو موسى الأشعري الرها وشمشاط عنوة، وفي أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة، وقيل

صلحا. وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وما حولها عنوة. وفيها بنى سعد جامع الكوفة (ابن كثير).

الجانب العلمي:

أولا: عهد يوسف عليه السلام: يتبين الجانب العملي من خلال المعرفة الكاملة في: استصلاح الأراضي، وتحسين البذور، وإتباع طرق ري حديثة لترشيد استهلاك الماء وزيادة الإنتاج الزراعي لأكبر كمية ممكنة، واستخدام آلات إنتاجية لها القدرة الكافية على زيادة الإنتاجية كآلات الحراثة، والحصاد، والنقل، وبناء المخازن، وتشكيل الدوائر الإدارية القادرة على صرف الرواتب والحوافز وإيصالها لمستحقيها، وفي ذلك يقول الحليس: " طبق يوسف عليه السلام في خطته الأولى والثانية منهاج النظام الحسابي لحساب الجوانب المالية، وبناء المستودعات، والقوى العاملة البشرية، وما يلزمها من رواتب وكذلك أحدث وظائف جديدة في الدولة من موظفي المخازن والمستودعات، وقوات الأمن الخاصة والحدود مما استلزم عمليات مالية ومحاسبية، وكذلك لا ننسى محاسبة المخزون من القمح والحبوب وعمليات البيع فيه يوميا، وتقدير احتياج مصر والشعوب المجاورة(الحليس، ١٩٩٤).

ويتبين الجانب العلمي في إتباع نظام توزيعي متقن وسريع، وفي ذلك قيل: "وكذلك التنظيم في توزيع المدخرات التي اتبعها يوسف عليه السلام، فوضع خطة يستطيع المحتاج بواسطتها أن يأخذ حاجته بالقسط، دون أن يقف ساعات كثيرة في طوابير طويلة على أبواب مراكز التوزيع، كما هو الحال في كثير من المجتمعات في العصر الحاضر"(طهماز، ١٩٩٠).

وتبين الجانب العلمي من خلال إتباع نظام رقابة متقدم جدا، وقام عليه السلام بالرقابة بنفسه، وشمل الرقابة على الأوزان والمكاييل، ومباشرته بتجهيز الجهاز للمكتالين، وتفقده للأوعية بنفسه، ومباشرته لعمليات المعاوضة والاكتيال، وقيل في ذلك: " وإن جلوس يوسف للناس ليعني أكثر من مسألة، منها أنه يتابع في مصر كل الأمور، وخاصة ما يتعلق بضرورات الناس الحياتية، وعدالة توزيع معايشهم، وثانيا: فتح أبوابه للناس حتى يتمكن كل أحد من الوصول إليه، والدخول عليه"(نوفل، ١٩٨٩).

ثانيا: عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يتبين الجانب العلمي في إتباع نظام توزيعي متقن وسريع، وقيل في ذلك: " وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين، فأنفق فيهم حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفذه"(ابن كثير). وكذلك توزيع ما يصل

بسرعة، وإيصاله إلى مستحقيه، وهذا ما تبين من رواية "سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاما، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فلح عليه عمر حتى قبلها (ابن كثير).

الجانب الأخلاقي والتكافل الاجتماعي:

أولا: عهد يوسف عليه السلام: وذلك من خلال:

١. إتخاذ الاحتياطات الأمنية، ووضع القوانين، ومراقبة دائمة للمخازن منعا للعابثين واللصوص، وظهور السوق السوداء، والغش، والاحتكار، والجشع والطمع والتحايل، وأكل أموال الناس بالباطل.

٢. تقديم الوَفادة للنازلين أيام القحط والشدة، ووفر لهم الإقامة الهنية، وسد حاجتهم التي من أجلها قدموا من الأماكن المتاخمة لمصر، يقول ابن عاشور في ذلك: " ودل قوله تعالى: **خير المنزلين**: على أنه كان ينزل الممتارين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر للميرة" (ابن عاشور، ١٩٨٤).

ثانيا: عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وذلك من خلال:

١. اتخاذ الاحتياطات الأمنية، ووضع القوانين الرادعة والزاجرة، وراقبة دائمة للرعية منعا للعابثين واللصوص، والغش، والاحتكار، والطمع والتحايل... وغير ذلك.

٢. تقديم المساعدات والطعام والشراب للنازلين كما تقدم في مسألة أبا عبيدة رضي الله عنه.

٣. الاستعانة بالولاة المجاورين "فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد. فبعث كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات" (ابن كثير).

النتائج

١. إن أزمة الجفاف أزمة قديمة حديثة، عرفتها الأجيال السابقة وما زالت تعرفها الأجيال على مر العصور وفي كافة الأماكن.

٢. لأزمة الجفاف تأثير على الإنسان والبيئة وبالتالي على الإنتاج.

٣. الطرق والأساليب التي عملها الإنسان للوقاية من الجفاف: بناء السدود لتجميع المياة لسنوات قادمة، بناء القنوات الصناعية لنقل المياة للمناطق التي تشهدها جفاف، إجراء تقييم مستمر للموارد المائية

للتعرف على كمياتها وكيفية إدارتها والاستفادة منها، استخدمت أساليب تحلية المياة ومحطات معالجة المياة لاستخدامها للري، وقطف رطوبة الهواء والأمطار الصناعية، واستخدمت وسائل علمية حديثة لتخفيف تبخر المياة من التربة الري بالتنقيط والرشح والرش... وغير ذلك.

٤. وضعت الدول المتقدمة والمنظمات الدولية بوابة بيانات لتقدير الإنتاج الزراعي وتقلباته في ظل الظروف المناخية المختلفة.

٥. في استراليا وضع نظام لمؤشر الاجهاد الزراعي، ويستخدم هذا النظام للكشف عن مناطق الزراعة التي ستواجه الجفاف، ويستطيع هذا النظام تقييم خطورة الجفاف وحدته وطول مدته وامتداده المكاني، وطبق هذا النظام بنجاح في أسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكيا الشمالية والجنوبية.

٦. سبب الأزمة في القرآن الكريم هو: عدم الإيمان بالله عز وجل، واقتراف المعاصي، وانتشار الظلم والفساد، وعدم فهم القرآن الكريم والعمل به.

٧. تحققت الكفاءة في إدارة أزمة الجفاف من خلال:

✳ الإيمان بالله عز وجل والعمل بما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، فالأزمة قد تكون عقوبة نتيجة اقتراف ذنب، أو بلاءا كما حصل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

✳ الاستسقاء والتوبة، حيث استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر، واستسقى عمر بن الخطاب، وبدأ المطر ينزل بعد الانتهاء من الاستسقاء وينهي أزمة الجفاف.

✳ حالة حصول الأزمة أتخذت كافة الاجراءات والأساليب المتاحة للتغلب على الأزمة بأقل ضرر ممكن، ومن ذلك:

- **التخطيط**: حيث خطط يوسف عليه السلام للأزمة قبل حدوثها لعلمه بها من خلال رؤيا الملك، فخطط للموارد البشرية والطبيعية والمالية بالعمل بكافة طاقاتها لإنتاج أكبر كمية إنتاج ممكنة، واستخدم أفضل الأساليب العلمية.
- **التخزين**: حيث استطاع يوسف عليه السلام من ابتكار نظام تخزيني له القدرة على حفظ الحبوب غذاء الإنسان من العفن والديدان والحشرات، والقش غذاء الحيوان طول فترة الجفاف، وإيجاد أماكن تخزين تتسع الكم الكبير من الإنتاج.

- **ترشيد الاستهلاك**: حيث أمرهم يوسف عليه السلام باستهلاك ثلث الإنتاج، وادخار ثلثي الإنتاج مراعيا في ذلك النمو السكاني الحاصل مستقبلا.
- **التوزيع**: فتم التوزيع بالعدل، وعدم الحاجة للوقت والجهد الكبير أثناء عملية التوزيع، وبذلك منع حدوث السرقة والغش والغبن والاحتكار والسوق السوداء.
- **التكافل الاجتماعي**: في عصر يوسف عليه السلام استطاع حماية مصر والدول المجاورة لها من خطر تلك الأزمة، وفي عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمع أهل الجزيرة العربية حول المدينة المنورة وتم توزيع كل ما في بيت مال المسلمين عليهم، واستغاث عمر رضي الله عنه بولاة المسلمين المجاورين للجزيرة العربية بمصر والبصرة، وكان قدوم أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة تحمل طعاما، فأمره عمر رضي الله عنه بتوزيعها على الأحياء حول المدينة بالمجان.

المراجع

1. Economic a .d ,sumner & .r .j ,lund ,.d ,Macewan, .j ,azuara–Medellin , .e .r ,Howitt ,California California agriculture university of analysis of the 2014 drought for .2014, Davis

٢. الشعراوي، محمد متولي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم القاهرة 1997م.
٣. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط 5 1424هـ / 2003م مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.
٤. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، طبقات ابن سعد، دار صادر – بيروت.
٥. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس 1984م.
٦. ابن عاشور، محمد الطاهر، الحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس 1984.
٧. ابن قدامة، أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد، المغني، ط3 1417هـ / 1997م دار عالم الكتب – الرياض.
٨. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت.
٩. التميمي، حسين عبد الله، إدارة الإنتاج والعمليات، ط1 دار الفكر – عمان.
١٠. الجوهري، الإمام إسماعيل بن حماد، معجم الصحاح، ط3 1429هـ/ 2008م دار المعرفة – بيروت..
١١. الحليس، نواف بن صالح، المنهج الاقتصادي لنبي الله يوسف عليه السلام ط4 1994م.
١٢. الحليسي، نواف بن صالح، المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، ط4 1994م
١٣. الخضيري، محسن أحمد، إدارة الأزمات، ط1 مجموعة النيل العربية – القاهرة 2003م.
١٤. الخطيب، عبدالكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة.
١٥. الزين، محمد بسام رشدي، مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، ط1 دار الفكر المعاصر – بيروت 2001م.
١٦. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (224 – 310هـ)، تاريخ الطبري، دار المعارف – مصر.
١٧. الظاهر، نعيم إبراهيم، إدارة الأزمات، ط3 1439هـ/2018م عالم الكتب للنشر والتوزيع – إربد – الأردن.
١٨. الوادي، حازم، نظرية التنمية في الاقتصاد الإسلامي، مقال في مجلة: Journal of Social Sciences, october 2017 v.6, n.4, p 825..

١٩. اليازجي، صبحي رشيد، إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم – دراسة موضوعية، مقال في مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 19 العدد 2 يونيو 2011 – غزة.
٢٠. سيد قطب، إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، ط17 دار الشروق – القاهرة 1412هـ.
٢١. صحيح البخاري.
٢٢. طهماز، عبد الحميد، الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، ط1 دار القلم – دمشق 1990م.
٢٣. عز الدين، أحمد جلال، إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب – الرياض 1990.
٢٤. قرموط، نايف شعبان عبدالله، الإدارة في سورة يوسف عليه السلام – دراسة موضوعية – رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة 2009م غير منشورة. 12. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط1 دار إحياء التراث العربي – بيروت 1995م.
٢٥. معروف، هوشيار، التخطيط الاستراتيجي، ط1 دار وائل – عمان 2009م.
٢٦. نوفل، أحمد، سورة يوسف دراسة تحليلية، ط1 دار الفرقان – عمان 1989م.